

قيد الحياة فكانت هذه الورقة تذكراً ثميناً ومحزناً وانى على قيد الحياة الآن  
كسيح بدون فائدة كجزء من هذا التذكار لأمثل هؤلاء الذين لم نزل أسماؤهم  
العظيمة بورقة التذكار ورجسهم مترهكة في فلوات منشوريا أما أرواحهم الشريفة  
ففي معبد كودان

وبعد ظهر يوم ٢٤ بينما كنا مارين بالقرب من جزد (اليوت) اذ لحنا  
خطوطا كثيرة من الدخان موازية للواء وكانت هذه سفن دو نمتنا المختلطة  
تحوي اقتراب بواخرنا فما أجل منظر دو نمتنا ماخرة في عرض الاقيانوس ٠٠١  
وقد حضرت مدرعة منها وأخذت تسير بجانبنا وهي على ما أظن كانت حاملة  
بعض الاوامر بخصوصنا

فكان محل نزولنا يقترب حينئذ وبعد قليل سنظهر على الرشح الحقيقي  
والكن ما كان يعلم لذلك الحين موضع نزولنا أو طريق اتجاهنا  
والكل كانت رغبتهم واحدة وهي التوجه الى بورت أرثور

### ❖ الفصل الخامس ❖

#### ❖ خطر النزول الى البر ❖

ابن محل نزولنا ؟ هذا هو السؤال الوحيد الذي كان يشغل أفكارنا  
من ابتداء السفر الى منتهاه وكانت احدى تخميناتنا أن ننزل في (تا كوشان)  
ونهاجم (هايشنج) و(لياوينج) في الشمال وأخرى أن نتوجه نوا الى خليج  
(بتشيلي) وتنزل الى (ينجكو) ومن تخميناتنا أيضا أن ننزل في احدى نقط

شاطئ (لياوتنج) وبمدها نسير الى الجنوب لمهاجمة استحكامات بورت ارثور  
وكانت هذه النغمينات تختلف بالطبع على حسب الاتجاه الذي تتخذه بوخرنا  
ولكن أخيراً عندما رأينا على الخريطة اننا متجهون نحو جنوب جزر (اليوت)  
جزمنا في الحال اننا متوجهون الى محل يوصل الى بورت ارثور فما كان حينئذ  
أعظم حماسنا وسرورنا عندما شاهدنا بوخر الحماة التي كنا عليها والبوخر الحربية  
التي نحرسها جميعها متجهة نحو ذلك الموضع ثم أننا ابتدأنا نرى بعد زمن  
قطعة أرض ضيقة وطويلة ذات لون رمادي مائل الى السواد ظاهرة قليلا  
في وسط الضباب السميك

وكانت هذه شبه جزيرة (لياوتنج) هذا الموضع الذي يلم عظام أبناء  
(ياماتو) البواسل من عشر سنوات وهو أيضا الميدان الذي تنتظر أننا  
سنترك عظامنا فيه ولقد كانت السماء سوداء في المساء الماضي والضباب  
الرمادي والغيوم كانت تنجلي وتنقشع من وقت الى آخر والهواء يصفر في  
أعلى السورايي والأمواج تلاطم جوانب سفننا متطائرة كقطع الثلج  
ومنتشرة كالزهر المتناثر وكان خلفنا فضاء غير محدود خلفه سماء نيبون  
(اليابان) فهتاف (بانزاي) الحماسي الصادر من الامة المسرورة وصوت  
السيبج المفروكة بين أيدي النساء المجازز والاناشيد الحربية الخارجة من أفواه  
الصبيان سليمي القلب كلها كانت كأنها لم تنزل ترن في آذاننا محمولة على الريح  
السريع وكان التصميم أننا ننزل في خليج يسمى (ينتأو) في الشاطئ الشرقي  
لشبه الجزيرة وفي جنوب غربي (بيتسوؤو) وهو مدخل صغير على بحر  
الصين لعدم وجود مينا جيدة غيرها بقرب (تالن) في جانب شبه جزيرة

( لياوتنج ) الايسر لان ميناء ( تالان ) كانت في قبضة العدو ولذا كنا نحاطر بكل شيء بنزولنا في ذلك المكان الغير مهم وقتئذ للضروريات الحربية أما البحر والتيار بهذه النقطة فكانا شديدتين اذ ان اول نوء لم يجعل النزول فقط هناك صعبا جدا بل المرسى ايضا وزيادة على ذلك فالماء قرب الميناء كان قليلا فن الضرورى أن أى مركب فى أى حجم ترسو على بعد ميلين ونصف تقريبا من الشاطئ أما اذا كانت الريح عاصفة فن الحتم أن المركب تقف على بعد أميال كثيرة من الماء. ولما ان الحالة كانت كذلك كنا نتصور صعوبة مسئولية وخوف الاشخاص المنوطين بانزالنا فانهم كانوا كاهات عصفير تلاحظ صغارها فكانوا يخفروننا على البعد والقرب لحماية عند النزول حتى لا يداهمنا العدو ولكن الريح أصبحت هائجة والبحر مفضبا والامواج متلاطمة وكانت تملو كالجبال فكانت البواخر النقالة والفلابك تهتز كاوراق الاشجار وسوارى المراكب الشراعية الصينية التى أجزتها حكومتنا تشبه غابة متحركة الى كل جانب كدوتمة المنغوليين التى حضرت الى خليج ها كانا ( وهى دوتمة أحد الملوك الصينيين المنغوليين الذين أغاروا على اليابان بتلك الدوتمة ولكنهم ردوا على أعقابهم )

وكنا نفكر فى النزول الى البر سالمين فى أحوال كهذه وهل تقابل العدو عند نزولنا مباشرة؟ فكنا كالمصوب على أعينهم لاندرى أى شيء نعتبر فيه ولا يعلم ذلك الا أمير الابنا الذى كانت أرواحنا بيده ولكننا كنا نعلم ان شديتين أمامنا هما النزول الى البر والسير - وبعد ما انتظرنا قليلا ابتدأنا فى النزول رغما عن كل خطر اذ الظاهر كان ان حالة الحرب لا تستدعى التأخير

وقد كانت احاطت بيو اخرنا الفلايك والمراكب الصغيرة الشراعية والرفاسات  
 وكنا لانعلم من أين حضرت وكلها كانت لحمل الضباط والجنود الى البر  
 والامواج الهائلة كانت تملو كالجبال الشاخنة وتهبط كالوديان العميقة كأنها  
 تتعام الرجال والمراكب معا وبعد ذلك حملت العلم بالوقار اللازم ونزلت في  
 مركب مع الميرالاي وكان عدد عظيم من المراكب تربط في الرفاسات  
 كجوب السبحة وكانت هذه السح المركبية تتدحرج وهي تملو وتهبط متجهة  
 نحو الشاطئ أما علم الأينا فانه كان يقاوم الريح والامواج حتى وصل البر  
 سالما ولقد شعرنا بعد أول خطوة في هذه الارض التي يحتملها العدو كأننا كنا  
 تركنا أرض آبائنا أمس فقط أما الآن فذلك لم يكن حلما بل يقظة

فما كان أعظم سرورنا عندما وضعنا مرة أخرى علم جلاله أمبراطورنا  
 الصالح الشهير على شبه جزيرة لياوتنج وهي أيضا أرض اليابان التي تقدمت  
 بدماء أخواننا

أما النوء فكان يزداد والظاهر أنه كان من المستحيل اتمام انزال القوة  
 كما كان غير ممكن رجوع الجنود ثانية الى البواخر والشىء الوحيد الممكن  
 كان الاستسلام الى رحمة الرياح والامواج بأن تقذف بأنفسنا الى الماء  
 ونجاهد للوصول الى الشاطئ عندما تقرب المركب منه وما حصل لصاحبي  
 اليوزباشى ( تسوكودو ) كان مثالا للصعوبات الشديدة التي لاقيناها  
 عند النزول

فاليزباشى ( تسوكودو ) ومعه نحو الستين جنديا تحت أمره كان في مركب  
 مجرورة برفاس فبعد مبارحتهم باخرة الحملة كانت هذه المراكب تتدحرج

هم في الامواج ككرة وكانوا في خطر دائم بأن يعلمهم البحر فالرفاس القاطر حل المركب المجرورة وطاب النجاة فاذا كان هوا (التيقون) الهائل يسير عشرة آلاف ميل بدون وقوف يقال ان أجنحته تكسرت من أمواج البحر فكيف يكون حال مركب صغيرة أمام أمواج هائلة كهذه؟ وكان يظهر في ذلك الوقت ان أشجع الرجال ليس لهم اختيار سوى ان يدنووا في بطون الاسماك اما الاسعاف فكان مستحيلا وعليه كان الامر السماوي عليهم ان يطعموا وقد كانوا مستعدين للموت ولكن من الاسف ان الموت الذي هم صاثرون اليه بلا جدوى لا هم يموتون في قاع البحر لا في ساحة القتال وخصوصا وهم على مقربة من العدو بدون ان يضربوه ولو ضربة ولذا حاول اليوزباشي وعيونه محمرة من الغضب ان يسمع رجاله ولكن الاسف كانوا كرجل وقع في بئر قديم موجود في حرش منفرد وكان غير غريب ولا لكنه غير قادر على ان يتساقى الى الأعلى وجذر الشجرة الذي يتعلق به كجبل للنجاة كان قد قرضه فأر حلوى

أما اليوزباشي (تسوكودو) فانه ففز الى البحر وعام نحو البر بكل قواه ولكن الامواج كانت لا ترق له لتسمح لرغبته الشريفة بان ينجى رجاله فقد ابتلعتهم ثم فذفته ودحرجه وألقته بدون رحمة فاليوزباشي البائس تمب أخيرا وأغمى عليه قبل أن يصل الى الشاطئ، ولما رجع الى رشده وجد نفسه على البر عاريا بالمرّة فبدون أن ينتظر أي ملابس هرول الى مكتب رئاسة القوات النازلة للبر وطلب هناك المساعدة للرجال الذين تركهم في المركب بحركات تهيج من الغيظ غير ممكنة البكاء اذ الدموع جفت في أعينه ولا ان يتكلم اذ قد جف

فه ولكنه نجح في اقتاد رجاله وتمه اتقلبت مركب أخرى حاملة مؤونة  
وذخائر وخبولا فوثب حصان منها ساجحا ورافقه الجندي الخادم له ففرق  
الحصان قبل الوصول الى البر وغرق بعده بقليل خادمه صاحب لروح الباسلة  
الذي كان حبه الى صاحبه ذى الاربع ارجل أعظم من حب البجعة التي تصرخ  
خلف صغارها في الليل وحيدة ولو انه لم يميت برصاص العدو الا انه مات  
متقدما في ميدان القتال

هل كانت أرض كنعان الموعودة هي التي نزلنا فيها؟ لا فهي بعكس  
ما كنا ننتظر - فان منظرها لا يرى منه أنها تلك الأرض التي اشتراها اخواننا  
بدمائهم من عشر سنوات مضت بل رأيناها فضاء مخيفا ومتسعا وملياً خراباً  
وأرضاً شاسعة غير محدودة كقماش مفروش عليه احمرقان واسود رمادي  
فاذا قارناها باليابان المختلفة المناظر والاشكال التي تعودنا عليها نجد ان الطبيعة  
لم تكن بها تمام الاعتناء ثم يختلف هذا المنظر برؤية المثات من الاهالي  
الذين حضروا الى موضع نزولنا ومعهم خيول وعربات لحمل أمتعتنا وكانوا  
يهمسون في آذان بعضهم ووجوههم عابسة ومع ذلك فأنهم لا يستحقون شيئاً  
سوى عطفنا وحنونا لكونهم رعية امبراطورية ذات حكومة رديئة فهم  
يستحقون بكل تأكيد كل رحمة وكانوا يخشون أولاً اليابانيين ناظرين اليها  
من بعد غير مفترين منا وذلك لانه من المحتمل ان الروسيين كانوا ينهبون  
أملاكهم ويسبون نساءهم وبناتهم اما الجيش الياباني فكانت من الاول  
ملاطفا ومشجعاً لهم على أن يستمروا في أشغالهم اليومية في سلام وبعده  
قليل ابتدؤا يصاحبونا ويرحبون بنا بكل اشتياق وعلى كل حال فأنهم

نوع من البشر الذين يخاطرون حتى بحياتهم للحصول على النقود وهم يسكنون في زرابي الخنازير وفي جيوبهم العشرة آلاف قطعة من الذهب ولذا تألم جيشنا كثيراً من خيانة هؤلاء عباد الدرهم وسأذكر ذلك فيما بعد وكنا نسمع صوت آتاء آتاء - دو دو - الغريب دائماً في الميدان وهي طريقة الاهالي لسوق الخيول والبقر وحذقهم في سوق هذه الانعام والخيول كان أعظم من حذقنا فكنا نستغرب من كيفية اتباع هذه الحيوانات أوامرهم فتراها تتجه نحو اليمين ونحو اليسار بصوت هذه الاشارات وكانوا يتحركون كأعضاء الانسان بدون استعمال أى آلة ضرب فالعلاقة بين هؤلاء الاهالي وانعامهم وخيولهم كالتي بين الجنود المنظمة جيداً ورؤسائهم اذ هم يحترمون باختيار وخضوع أوامر رؤسائهم بدون خوف، من ضرب او توبيخ وهو السر في الضبط والربط العسكري وأيضا النجاح في الحقيقة أما الجنود الروسية فكانت ناقصة في هذه العوامل المهمة كما أوضحته فيما بعد اقوال الأسرى

ولقد نزلت بعض بلوكات فرقتنا الى البر بكل مشقة وازداد النوء وعليه صار ايقاف التنزيل ولقد اخترقنا انا والامير الالى والاركان حرب والمترجم والكاهن هذا الفضاء مصحوبين ببعض الحرس متجهين نحو ( وانجشيان ) التي أمرنا بالبقاء بها تلك الليلة وكنا مشتغلين بالخريطة والبوصلة بينما كان مترجمنا يسأل الاهالي سؤالاً بعد الآخر وانى سألتهم بكلام متقطع عن الجنود الروسية ومحل وجودهم مستعينا بكتاب مخاطبة صيني ياباني فاجابوني انهم فروا الى بورت ارنور وحينئذ خاب ظننا اذ كنا نود مقابلة هذا العدو المنتظر

في الحال وبعد مسير ١٨ ميلا تقريبا في سهل رملي وصلنا قرية (وانجنديانين) المكسوة بشجر الصفصاف في مساء ممطر كثير الالرياح بينما كنا نرى طيوراً غريبة المنظر راجعة الى أوكارها وكان رجال ذوو منظر ابله وأولاد وسخة الوجه تجتمع حولنا كالنمل وينظرون الينا باستغراب والرجال الاكبر سنا كانت تدخن في شبكات طويلة والظاهر أنهم كانوا غير مكترئين أو جامعين هذا الضيق الذي يبلادهم أما الاقدار والذوا سخ الموجدودة في المنازل وعلى سكانها فلا يمكن وصفها اذ نحن الآتون حديثا الى المكاتب أجبرنا على سدا نوفنا من الروائح الكريهة المنبعثة أما المسكر فكان سميأ فقط اذ أننا وجدنا ما جاء تحت سفوف المنازل وكانت هناك الروائح الكريهة تهاجنا من كل جهة وخصوصا روائح الثوم المنبعثة من الرجال والصغار الذين كانوا يحيطون بنا وكانت معدتنا الفارغة مستعدة أولا لأن ترحب بأرزنا الحمص ولكن أعصابنا المنهجة من تلك الروائح رفضت كل غذاء ولقد مضينا نحن الذين نجحنا بالنزول أولا أول ليلة في (لياوتنج) في هذه الحالة

ومن المحقق ان ارواح اخواننا المتوفين من عشر سنوات مضت رحبت بنا بأذرع مفتوحة طالبة الاخذ بالثار ومنتظرة منا كل عمل باهر وكانت الجنود تنام سائمة القلب تحت الخيام معرضين الى البرد والرطوبة على حشيش الذرة متبسمين فما كانت احلامهم يأتري؟ فالبعض مضى الليل قاعدا بالقرب من حشيش الذرة غارئين في افكار عميقة وهم يأكلون ما بقي من هدايا رحيلهم وصناديق أكلهم (هي صناديق يوضع فيها الأرز الذي يأكله اليابانيون بدل الخبز) على حائط من الطوب وعند ما ابتداء فجر

الصباح اعدت السماء واهرت فجأة في هذه الارض الغريبة ولكن لم تكن حقيقية بل كان البرق لهيب نيران المقذوفات والعود أصوات قصف المدافع وكانت الريح الهاججة تزيد وحشة الحالة ، كان لون السماء في ذلك الوقت دمويًا وكانت هذه واقعة ( نانشان ) الكبيرة وكان لا يمكننا أن نسكن من شدة الانسراح وهياج ونحمس أنفسنا

### ❖ الفصل السادس ❖

#### ❖ أهمية بورت ارثور ❖

هذا هو يوم ٢ يناير سنة ٣٨ من ( الميجي ) وهو تاريخ لا ينسى مدى الدهر اذ كان رأس السنة الجديدة السعيدة وتاريخًا لميلاد أحد احفاد جلالة الميكادو وسقوط بورت ارثور فهي بلا شك أسعد. وأشهر سنة في تاريخنا وسقوط بورت ارثور كان حادثة جعلت عصرًا جديدًا في تاريخ العالم وأنا لا ننسى أنالم نحصل على هذه النتيجة الا بسفك نهور من الدم وتقد كان يفتخر ( كورويبا تكن ) قائد الجيش الروسي بقوة هذا الاستحكام المنيع قائلاً أنه يمكنه أن يقاوم أشدهماجمات يتصورها الفكر لمدة سنة ولكن قذف رصاص وقنابل الجيش المهاجم الياباني بدون انقطاع ولا مل على ذلك الحصن أجبر الروسيين على أن يسلموه في أقل من مائتين وخمسين يوماً أما جيش جنودنا من ابتداء المهاجمة الاولى في ( نانشان ) لغاية تسليم ( استيسل وهو قائد قوة بورت ارثور الروسية المدافعة ) فصارت تلولا ودماءؤهم نهيرات